الشاب الذي هرب عريانًا

(مر ١٤: ٥١-٥٢)

الأخت د. روز أبي عاد
أستاذة مادة الكتاب المقدس في جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

يحتوي إنجيل مرقس على بعض المشاهد التي تُدهش القارئ وتُلقيه في الحيرة إذ تُثير فيه أسئلة دون أن يلقى جوابًا؛ ففي حين أنّ لوقا يروي دعوة التلاميذ ليسوع بعد سماعهم تعاليمه ومشاهدتهم آياته (٥: ١-١١)، يصعب على القارئ أن يفهم كيف يضع مرقس نص دعوة التلاميذ الأوّلين (١: ١٦-٢٠) في بداية رسالة يسوع في الجليل، أي قبل أن يعرفوه.

وفي موضع آخر، يُنهي مرقس إنجيله بخاتمة غامضة (١٦: ١-٨)[1]، إذ يسدل الستار على مشهد هرب النساء وخوفهنّ وصمتهنّ، فيظهرهنّ غير أمينات على الرسالة التي أُوكِلت إليهنّ، إذ لم يقلن لأحدٍ شيئًا لِمَا اعتراهنّ من رعدة وذهول؛ وهذا أيضًا مشهد محيِّر إذا قابلناه بالنصوص الموازية حيث تُسرع النساء في حمل البشارة إلى التلاميذ (مت ٢٨: ٨)، ويُخبرن الأحد عشر بهذه الأمور كلّها (لو ٢٤: ٨).

---

(١) إستنادًا إلى المخطوطتين السينائية والفاتيكانية وغيرهما من المخطوطات، ينتهي إنجيل مرقس بالآية ١٦: ٨، وتشكّل الآيات التي تليها خاتمة ثانية أُضيفت في ما بعد دون أن تفقد قانونيتها بحسب التقليد الرسولي.

أمّا الموضوع الذي سنعرضه (مر ١٤: ٥١-٥٢) فيقدّم لنا، هو أيضًا، مشهدًا مكتنفًا بالأسرار، مثيرًا الاهتمام من خلال طرحه عدة تساؤلات: لماذا يتفرّد الإنجيلي بحدثٍ تفصيليّ فضوليّ كهذا؟ من هو هذا الشاب الذي يأخذ دور بطل الرواية؟ لأيّ سببٍ يُصرُّ مرقس على تسليط الضوء على عريه؟

تفسيراتٌ ثلاثة

لقد لاقى البحث عن هويّة الشاب تفسيرًا متباينًا؛ فبعض علماء الكتاب المقدّس أعطاه تفسيرًا تاريخيًا بحيث يفترض تطابق صورة الشاب وصورة إنسان تاريخي اختبر المشهد الذي يسرده الانجيلي، ومنهم مَن قدّم تفسيرًا مستوحًى من العهد القديم، إذ اعتمد على نص أو أكثر كمنطلَق لإدراك الشخص المعني، وأخيرًا منهم مَن أطلق تفسيرًا رمزيًا؛ في هذه الحال يتحوّل الشاب إلى صورة نموذجية هدفها توضيح رسالة لاهوتية(٢).

١ – التفسير التاريخي

في الوقت الذي لم يَذكر فيه مرقس اسم الشاب، أو بالأحرى، في الوقت الذي تكتّم فيه الإنجيليّ عمدًا عن التصريح باسم بطل المشهد الذي نحن بصدده، سعى بعض علماء الكتاب المقدّس إلى إسناد شخصيّة الشاب الذي هرب عريانًا إلى شخصيّات عدّة، وذلك بهدف تحديد هويّته؛ فأحيانًا قيل إنّه يوحنا، التلميذ الحبيب، والسبب يعود إلى أنّ مر ١٤: ٥١-٥٢، ٥٤، ويو ١٨:

(٢) بالإضافة الى المراجع التي سنأتي على ذكرها في ما بعد، نذكر مرجعين أساسيين اعتمدناهما في بحثنا هذا:

F. NEIRYNCK, «La fuite du jeune homme en Mc 14,51-52», *ETL* 55 (1979) 43-66; G. PEREGO, *La nudità necessaria, il ruolo del giovane di Mc 14,51-52 nel racconto marciano della passione-morte-risurrezione di Gesù*, Milano 2000.

١٥-١٦ يرويان حدث اتّباع يسوع من قبل التلميذ الآخَر وملازمته له(٣). وهناك فرضيّة أخرى تُسبغ على شخصيّة الشاب الهارب عريانًا شخصيّة يعقوب أخي الرب، وذلك استنادًا إلى وصفه في أحد الكتب المنحولة(٤). كما توجد محاولات للمطابقة بين شخصية الشاب ولعازر؛ فحضور لعازر في الجتسمانية أمر معقول جدًا، إذ إنّ الجتسمانية تقع على الطريق التي تصل بيت عنيا بأورشليم. ثُم إنّ لعازر ليس من التلاميذ الاثني عشر الذين تركوا يسوع وهربوا جميعهم (مر ١٤: ٥٠)، بالإضافة إلى أنّه عُرف بصداقته ليسوع (يو ١١: ٣، ١١)، كذلك فهو الوحيد الذي هُدِّد علانية بالقتل (يو ١٢: ١٠). أخيرًا، علينا ألاّ ننسى أنّ لعازر يبقى مدينًا كبيرًا ليسوع، ممّا يبرّر مكوثه بالقرب منه بعد أن أعاد إليه الحياة(٥).

---

(٣) Cf. AMBROISE DE MILAN, *In Psalmum XXXVI enarratio* (PL 14,993); BÈDE LE VÉNÉRABLE, *In Marci Evangelium Expositio* (PL 92, 278-279); JEAN CHRYSOSTOME, *Commentarium in Joannem. Homilia LXXXIII* (PG 59, 449); GRÉGOIRE LE GRAND, *Moralium Libri sive Expositio in librum B. Job XIV, 49.57* (PL 75, 1068).

(٤) M. EBRETTA, *Gli Apocrifi del Nuovo Testamento*, vol. II, Casale Monferrato 1966, 554-556.

(٥) Cf. M.J. HARE, «The Naked Young Man: A Historian's Hypothesis on Mark 14,51-52», *Bib* 79 (1998) 525-531; M.W. MEYER, «The Youth in the Secret Gospel of Mark», *Semeia* 49 (1990) 129-153.

بالإضافة إلى ما تقدّم، يحاول بعض مفسّريّ الكتاب المقدّس أن يوضّحوا هويّة الشاب من خلال إسنادها إلى بطرس؛ Cf. W. SCHENK, *Der Passionsbericht nach Markus. Untersuchungen zur Überlieferungsgeschichte der Passionstraditionen*, Berlin 1974, 209-212.263-264.268.

ويُسند غيرهم هوية الشاب إلى بولس؛ هنا يصبح المشهد مدراشًا يقدّم قصة بولس تحت شكل رمزيّ بحيث يُدعى الرسول إلى التعرّي عن الشريعة وارتداء المسيح وسرّه الفصحي؛

Cf. K. HANHART, *The Open Tomb. A New Approach, Mark's Passover Haggadah* (c. 72 C.E.), Collegeville 1994, 341-392.381-382.

ويسعى غيرهم إلى إسناد شخصية الشاب إلى الإنجيلي مرقس نفسه، فيستشهدون بـ أع ١٢: ١٢-١٧، حيث يُخرج الملاك بطرس من السجن، فيذهب هذا الأخير إلى "بيت مريم أم يوحنا الملقّب مرقس". وبالتالي، يُفترض أن يوجد هذا البيت في أورشليم، ومن الممكن أن يكون العشاء الأخير قد أُقيم فيه، كما يجوز أن يكون مرقس قد اصطحب يسوع إلى الجتسمانية مع الرسل. =

تجدر الإشارة إلى أن مطابقة شخصية الشاب على أحد التلاميذ أو على أحد المقرّبين من يسوع تتعارض ومعطيات النص الذي يشدّد على أنّ الكلّ تركه وهرب (مر ١٤ : ٥٠)، فهذا الافتراض الذي يبدو حجّة غير قويّة حمل البعض على إسناد شخصية شاهد عيان غير معروف إلى الشاب(٦). أمّا خلفيّة المشهد فتعود إلى أنّ هذا الشاهد قد يكون استفاق بغتة على وقع بلبلة غريبة، فارتدى ثيابه بسرعة وأسرع ليرى ما يحدث. إذّاك خُيّل إلى العصابة التي جاءت لتلقي القبض على يسوع أنّه من الاثني عشر، فحاولت الإمساك به لكنّه لاذ بالفرار تاركًا الإزار الذي كان يستر فيه عريه بين أيدي المنقضّين عليه.

إن محاولات التفتيش عن هوية الشاب، إنطلاقًا من التفسير التاريخي، لا تخلو من الأهميّة ولكنّها تبقى هشّة بعض الشيء لأنّها تفتقد إلى براهين قاطعة. جميع الأسماء الواردة (يوحنا، يعقوب، لعازر، بطرس، بولس، مرقس) تحاول إبراز شخصية قد يكون الإنجيلي تعمّد إبقاءها طيّ الكتمان، أو أنّه بدا غير مهتمّ بإدلاء اسم الشاب، وهذا ما يدفعنا إلى تتمّة البحث على مستوى آخر.

٢ – التفسير على ضوء العهد القديم

لجأ بعض مفسّري الكتاب المقدّس إلى توضيح نص مر ١٤: ٥١–٥٢ على

ولكن هذه النظرية تتعارض وما يقوله أوسابيوس، الذي ينقل عن باباس، أنّ مرقس لم يسمع الرب، ولا كان له تلميذًا، بل أصبح، في وقت لاحق، تلميذًا لبطرس.

Cf. EUSÈBE DE CÉSARÉE, *Historia ecclesiastica*, III, XXXIX, 15-16; H. OLSHAUSEN, *Die Leidensgeschichte des Herrn nach den vier Evangelien*, Könisberg [4]1862, 124.

(٦) Cf., par exemple, EUTHYME, *Commentarius in quatuor evangelia* (PG 129, 694); THÉOPHYLACTE, *Enarratio in evangelium S. Marci* (PG 123, 657); V. TAYLOR, *The Gospel According to St. Mark*, London 1952, 562; C.E.B. CRANFIELD, *The Gospel According to Saint Mark* (CGTC), Cambridge 1959, 334.

ضوء عا ٢: ١٦ أو تك ٣٩: ١٢[٧]. الفكرة الأساسية التي تكمن وراء موازاة عا ٢: ١٦ مع مر ١٤: ٥١–٥٢ تعود إلى العلاقة المتينة بين النصّين والتي تتوطّد من خلال موضوع "يوم الرب". ففي مر ١٤: ٤٩، يسوع ذاته يضع حدث إلقاء القبض عليه على خلفيّة تتميم الكتب، وبالتالي يصبح مقطع الشاب الهارب علامة "يوم الرب" الذي تنبّأ عنه عاموس والذي سيبلغ مِلْأَه في السرّ الفصحي، أي آلام يسوع وموته وقيامته.

من ناحية أخرى، قد نجد في مر ١٤: ٥١–٥٢ إستدعاءً لرواية يوسف (تك ٣٩: ١٢) الذي فضّل البقاء على الأمانة لربّه، فترك ثوبه بيد امرأة سيّده وفرّ هاربًا.

يربط بعضهم مشهد مر ١٤: ٥١–٥٢ بنبوءة دا ١٢ المكتنفة بالأسرار[٨]؛ فالرجل اللابس الكتّان (آ ٦) الذي يُنبئ بالأحداث النهيويّة في كتاب دانيال، يستدعي الشاب المؤتزر بالكتّان في مر ١٤: ٥١–٥٢، والذي سعى جاهدًا لمرافقة يسوع في ساعته النهيويّة رغم أنّ محاولته باءت بالفشل.

في ما يخصّ التفسير المستوحى من العهد القديم، علينا ألاّ ننكر أنّه يسهّل فهم النص بطريقة أفضل من خلال التزويد بالعناصر الموازية للنص الإنجيلي، ولكنّه لا يكفي لإدراك كنهه.

٣ – التفسير الرمزي

يقدّم لنا هذا التفسير ثلاثة اتجاهات يمكن إتباعها في مسيرة التفتيش عن هويّة الشاب الهارب عريانًا: الرمزيّة العمادية، والرمزية المسيحانية، ومقتضيات اتّباع المسيح.

---

(٧) A. Loisy, *Les évangiles synoptiques*, vol. II. Ceffonds 1908, 591; idem, *L'évangile selon Marc*, Paris 1912, 424.

(٨) Cf. J.P. Keenan, *The Gospel of Mark. A Mahayana Reading* (Faith meets faith), New York 1995, 390-391.

٣/١ - الرمزية العمادية

تنطلق هذه الرمزية من مر ١٦: ٥، حيث يرى بعض المفسّرين في "الشاب الجالس عن اليمين وعليه حلّة بيضاء" صورةَ المعتمد حديثًا في إطار ليتورجيّة فصحيّة متكاملة(٩)، وعليه، فالعماد كان يُمنَح يوم الفصح "عند الفجر، الأحد" (مر ١٦: ٢). تبدو الصلة التي تربط مر ١٤: ٥١-٥٢ بـ مر ١٦: ١-٨ جليّة في رموزها العمادية، بحيث إنّ المقطع الأول يلمّح إلى عري الذي يطلب العماد وتغطيسه في ماء المعمودية، علامة إشراكه في موت المسيح، في حين يذكّر المقطع الثاني بخروج المعتمد من جرن المعمودية وارتدائه اللباس الأبيض، رمزًا لاشتراكه في قيامة المسيح(١٠).

٣/٢ - الرمزيّة المسيحانية

تستند الرمزية المسيحانية على الخط الذي يصل النصوص مر ١٤: ٥١-٥٢؛ ١٥: ٤٦ ؛ ١٦: ٥ في وحدة متلاحمة، فيرى في الشاب الذي يهرب عريانًا استباقًا لقيامة المسيح الذي فرّ من قبضة الموت تاركًا اللفائف في القبر.

بغية التمكّن من إظهار الرمزية المسيحانية، لا بد من إقامة موازاة بين مر ١٤: ٥١-٥٢ و١٦: ١-٨ ، إذ يحتوي كلٌّ من النصين على عناصر أدبيّة مشترَكة تمكّننا من اعتبار المقطع الأول بمثابة إفتتاح لكلّ القسم الذي يروي لنا سياق

---

(٩) Cf. R. SCROGGS - K.I. GROFF, «Baptism in Mark. Dying and Rising With Christ», *JBL* 92 (1973) 531-548.

(١٠) زد على الرمزية العمادية التي في مر ١٦: ٢، ٥-٦، يذهب بعضهم إلى تأكيد الإطار الفصحي والعمادي للفصل ١٦ بأكمله، لا بل يبسط هذا الإطار ليطال كلَّ إنجيل مرقس. فمن المحتمَل جدًا أن المسيحيين الأوّلين كانوا يقرأون إنجيل مرقس طيلة ليلة الفصح، وعند بزوغ الفجر كانوا يمنحون العماد للموعوظين.

Cf. B. STANDAERT, *L'évangile selon Marc. Composition et genre littéraire* (Diss. Nijmegen), Brugge 1978, 509-512.579-585.

السرّ الفصحي. تظهر العلاقة المتينة بين النصين، أولاً، عندما نقرأ النص المذكور قراءة موازية للروايات حسبما وردت في إنجيلَي متّى ولوقا، ممّا يخوّلنا إلقاء الأضواء على التفاصيل التي تتميّز بها رواية مرقس دون سواه؛ وثانيًا، عندما نستعرض المفردات اللغوية في مر ١٤: ٥١– ٥٢ و١٦: ١–٨.

أولاً، عوض أن يذكر مرقس "الملاك" الجالس على الحجر الذي كان يختم القبر كما روى متّى (مت ٢٨: ٢، ٥)، أو "الرجلين" اللذين حضرَا بغتةً على النساء، حسبما دوّن لوقا (لو ٢٤ :٤)، فهو يتكلّم عن "الشاب"، νεανίσκος، الجالس عن اليمين. أضف إلى ذلك، أنّ منظر الملاك، في إنجيل متّى، كان كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج (٢٨: ٣)؛ وفي إنجيل لوقا على الرَجُلَين ثيابٌ برّاقة (٢٤: ٤)، بالمقابل، يبدو الشاب في مرقس ملفوفًا بحلّة بيضاء (١٦: ٥)، علمًا أنّ ظهوره لم يصطحبه أيّ زلزال شديد (مت ٢٨: ٢) أو أيّ تراءٍ فجائي بغية انتشال النساء من حيرتهنّ (لو ٢٤: ٤)؛ إنّه جالسٌ داخل القبر "بكلّ بساطة".

باختصار، يتوخّى الإنجيلي مرقس في روايته اجتناب تراكم العناصر التي تغالي في وصف الطابع غير العادي للحدث.

من ناحية أخرى، تُختَتم فقرة رواية حدث القيامة في إنجيل مرقس بطريقة غريبة. فحيث يتكلّم متّى عن إسراع النساء في حمل البشرى للتلاميذ (٢٨: ٨)، وحيث يشدّد لوقا على أنّ النساء "ذكرنَ" أقوال المعلّم (٢٤: ٨)، "ورجعن من القبر فأخبرن الأحد عشر والآخَرين جميعًا بهذه الأمور كلّها" (آ ٩)، يقدّم مرقس نهاية يسودها "الهرب من القبر"، و"الخوف" المعبَّر عنه بألفاظ: "الرعدة"، "الدهشة"، "خائفات" (مر ١٦: ٨)، و"الصمت"، إذ "لم يقلن لأحدٍ شيئًا" (المرجع نفسه).

إزاء تباين رواية القيامة حسب مرقس عن روايتها حسب متّى ولوقا في ما يخصّ حضور الشاب ولباسه وردّة فعل الخوف والصمت، نجد موازاة تامّة بين مر ١٤: ٥١–٥٢ و١٦: ١–٨، إن على صعيد المفردات اللغوية أو على صعيد الإطار الذي أُدرجَا به.

ثانيًا، يشتمل كل من نصَّي مر ١٤: ٥١-٥٢ و١٦: ١-٨ على مفردات مشتركة، لا بل فإنّ هذه المفردات تختصّ بمرقس دون غيره من الإنجيليين؛ فبطل الرواية هو "شاب"، νεανίσκος، لفظة لم يستعملها مرقس إلاّ في هذين النصّين دون سواهما.

ثمّ إنّ اللباس الذي يرتديه الشاب يلفّه حول الجسد، περιβάλλω؛ لا يُذكَر هذا الفعل في إنجيل مرقس إلاّ في النصّين اللذين نحن بصددهما؛ ففي ١٤: ٥١-٥٢ يلتفّ الشاب بالإزار الغالي الثمن، بينما في ١٦: ٥ يلتفّ الشاب بالحلّة البيضاء.

من هنا ضرورة قراءة مشهد الشاب الهارب (مر ١٤: ٥١-٥٢) على ضوء المشهد المتعلّق بالشاب الموجود داخل القبر (١٦: ٥-٧)، فالمشهدان يترابطان بقوّة ووضوح ليعطيا صورة جليّة تجسّد رمزيّة متماسكة على أتمّ وجه.

٣|٢|١ - تحليل المفردات في مر ١٤: ٥١-٥٢

أ - تبعه : συνηκολούθει αὐτῷ

إنّ استعمال الفعل ἀκολουθέω الذي تسبقه الآداة σύν لا يمكن أن يكون عرضيًّا، ولكنّه يتضمّن فرقًا لاهوتيًا خاصًّا بالنسبة إلى الفعل ἀκολουθέω؛ ففي حين أنّ هذا الأخير يشير بكلّ بساطة إلى اتّباع يسوع أو مرافقته بصورة طبيعيّة وخارجيّة، يعمد مرقس إلى استعمال الفعل المركّب من الآداة σύν والجذر ἀκολουθέω، وذلك بهدف إضفاء معنى متمايز عن الفعل ἀκολουθέω. إذا عدنا إلى الاستعمال الموازي للفعل συνακολουθέω ، في مشهد إحياء ابنة يائير مثلاً، نجد أنّه يعبّر عن الامتياز الذي حظي به بطرس ويعقوب ويوحنا لمشاهدة الآية دون سواهم. وبالتالي، فالفعل συνακολουθέω يعكس حالة قرب ومودّة لا ينعم بها الجميع على السواء.

أمّا في ما يخصّ مشهد اعتقال يسوع، فالفعل συνακολουθέω يشدّد على ناحيتين مهمّتين: أولا، على الفرق بين الشاب الذي تبع يسوع وسائر التلاميذ الذين تركوه وهربوا بعيدًا (مر ١٤: ٥٠)، وثانيًا، على التباين بين اتّباع الشاب ليسوع واتّباع بطرس له؛ فالأول تبعه "عن قرب"، بينما الثاني تبعه "عن بُعد" (مر ١٤: ٥٤).

في لحظةٍ تنكّر فيها كلّ التلاميذ لمعلّمهم، بالهرب أو بالخيانة أو بالانخراط والذوبان في قلب الجمهور المحتشد، بقي واحد فقط بقربه ومعه؛ هذا ما يحملنا على إضفاء أهميّة لاهوتيّة خاصّة بالفعل συνακολουθέω الذي يسترعي انتباهًا خاصًا يتعلّق بالمودّة والقرب من يسوع.

ب – شاب: νεανίσκος

نجد صعوبة في تحديد عمر الشاب، وذلك كون عمر الصبا يعود إلى مرحلة تلي سنّ المراهقة وتسبق سنّ الرشد. أمّا إذا أخذنا بعين الاعتبار مقياسًا أوسع فيمكن أن تشمل المرحلة التي تمتدّ ما بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين من عمر الإنسان؛ إنّها الفترة التي يصل فيها الذكاء والقدرة على التميز إلى أوج النضج.

رغم الأخذ بكل هذه المعايير الزمنيّة، ما يهمّ الكاتب الملهَم بدرجة أولى هي العناصر النفسيّة والاجتماعيّة والروحيّة التي تبيّن صفات الإنسان أمام الله. فالصبا هو عمر اختيار الحياة، العمر الذي يحدّد بشكلٍ شبه حاسم الملامح الرئيسيّة في شخصيّة الإنسان. كلّ هذه المعطيات ستساعدنا على فكّ رموز استعمال كلمة "شاب"، νεανίσκος ، في كل من نصّي مر ١٤: ٥١–٥٢ و ١٦: ٥–٧.

ج – لابسًا : περιβεβλημένος

يشتقّ اسم المفعول περιβεβλημένος من الفعل اليوناني περιβάλλω الذي

يُترجَم عادةً بـ "وضع"، "لبس"، "كسا"، "ارتدى"؛ أمّا إذا أخذنا بعين الاعتبار الأداة السابقة περι، والتي تعني "حول"، "من كلّ جهة"، فمن الأفضل أن نترجم الفعل περιβάλλω بـ "إلتفّ"، "تغلّف"، ألقى حول". هذه الترجمة الأخيرة توحي بفكرة الاكتساء بقطعة ثياب تلتفّ حول جسم الإنسان. تجدر الإشارة إلى أنّه، بالإضافة إلى المعنى الدقيق الذي يتضمّنه الفعل περιβάλλω، فالإنجيلي مرقس لا يستعمله إلاّ في نصّين: مر ١٤: ٥١ و١٦: ٥، وكلاهما في الصيغة ذاتها[١١].

د – إزار: σινδών

تعني كلمة σινδών نسيجًا كتّانيًا أو قطنيًا، ذا شكل مستطيل، كان يُلَفّ حول الجسد ليُستعمل إمّا بمثابة مشلح أو رداء. يتميّز هذا النوع من اللباس أوّلاً، بنوع القماش إذ لا يُمكن أن يُقصد به الصوف بل الكتّان أو القطن، وثانيًا، بثمنه الباهظ، ممّا يجعل منه رداءً كريمًا لا يُمكن اقتناؤه إلاّ من قِبَل النبلاء.

كان هذا النوع من اللباس أكثر ما يُستعمل في حالتين: كثوبٍ ليليّ أو ككفنٍ للموتى، وكان يُقتصر على الاكتساء به دون سائر الملابس، من هنا نفهم كيف شكّل الرداء الوحيد الذي التفّ به الشاب دون أيّ لباس آخَر.

باستعماله لفظة σινδών أربع مرّات، يوليها الإنجيلي مرقس أهميّة خاصة لأنّه يُسندها مرّتين إلى الشاب (١٤: ٥١–٥٢)، ومرّتين إلى يسوع المنزَل عن الصليب (١٥: ٤٦). والسؤال يبقى: هل يمكننا استبعاد الصلة الوثيقة بين المشهدين؟

هـ – فأمسكوه: καὶ κρατοῦσιν αὐτόν

يتحمّل الفعل κρατέω عدّة معاني: "قَوِيَ"، "تسلّط على"، "هزم"، "أخضع"، "أمسك بـ"، "انتصر على"، "أوقف"، "اعتقل"، أمّا في إنجيل مرقس فغالبًا ما يعني:

(١١) أي اسم المفعول الوسط التام (participe moyen parfait).

"أوقف"، "اعتقل". عندما يُستعمل الفعل κρατέω مع المضاف إليه يعبّر عن الخلوّ من العنف(١٢)، في حين أنّ استعمال الفعل κρατέω مع المفعول به يُظهِر، على الأكثر، الاعتقال الذي يصطحبه العنف (كما هي الحال في مر ١٤: ٥٢) أو أيضًا "الاحتفاظ بـ"، "الإمساك بـ" أو "الاحتجاز" (رج كول ٢: ١٩؛ رؤ ٢: ١).

و – غير أنّه تخلّى عن الإزار: ὁ δὲ καταλιπὼν τὴν σινδόνα

توضح الأداة الإضرابية (particule adversative) ὁ δέ، "غير أنّه"، عن تغيير الاتجاه داخل الفقرة؛ فقد أُلقي القبض على الشاب الذي كان يتبع يسوع، غير أنّ أمرًا ما سيقع ليُدخل انعطافاً غير متوقَّع وتحوّلاً مفاجئًا في عمق الرواية.

يعني الفعل καταλείπω المركّب من الأداة κατά والجذر λείπω "ترك"، "تخلّى"، "تنازل عن". أمّا صيغة الفعل الواردة كاسم فعل ماضٍ، عندما تسبق فعلاً معربًا بدوره في الماضي، فإنّها تعبّر عن تزامن الأفعال وتؤثّر في التشديد على التواتر الذي تجري فيه الأحداث، ممّا يساعدنا على إدراك بلاغة المشهد الذي نحن بصدده.

ز – هرب: ἔφυγεν

يرد الفعل φεύγω، "هرب" خمس مرّات في إنجيل مرقس(١٣)، ويسترعي الانتباه إلى كونه يُسنَد ثلاث مرّات إلى أشخاص تعهّدوا على أنفسهم بالسير وراء المسيح، وقاموا بالتّحدّي إزاء تصرّف الآخَرين؛ فالشاب كان قد تبع يسوع، في حين أنّ التلاميذ كلّهم تركوه وهربوا (١٤: ٥٠)، ولكنّه عاد وهرب بدوره (١٤: ٥٢)؛ والنساء اللواتي جئن إلى القبر عند فجر الأحد، ليطيّبن جسد

---

(١٢) رج مر ١: ٣١؛ ٥: ٤١؛ ٩: ٢٧؛ إلخ.

(١٣) مر ٥: ١٤؛ ١٣: ١٤؛ ١٤: ٥٠، ٥٢؛ ١٦: ٨.

يسوع، وأسلمن رسالة التبشير بالقيامة، "قد خرجن من القبر وهربن لما أخذهنّ من الرعدة والدهشة، ولم يقلن لأحدٍ شيئًا لأنهنّ كنّ خائفات" (١٦: ٨). إنّها مقاطع تُدهش القارئ وربّما تخيّب ظنّه بعد أن كان تصرّف هؤلاء الأشخاص قد ولّد فيه الرجاء.

ح – عريانًا : γυμνός

إن الجدل حول استعمال كلمة γυμνός ، "عريان"، في مر ١٤: ٥١–٥٢، يقوم على تحديد ما إذا كان العري كاملاً أم إن المقصود به الكساء الجزئي أو المعنى المجازي.

في العهد القديم تُستعمل كلمة עֵירֹם / עָרוֹם للدلالة على "العري" الذي لم يكن يعني "الخجل" إلاّ بعد السقطة الأولى (تك ٣: ٧، ١٠، ١١)؛ أمّا الأنبياء(١٤) فيستعملون لفظة "عريان" لوصف حالة العار والعزلة التي سيعانيها إسرائيل بسبب خيانته للعهد(١٥).

بشكل عام، يَفترض غياب اللباس أو حالة العري غياب الهوية، ولهذا الأمر يُطبّق هذا المفهوم على السجناء والعبيد، أو أيضًا في حالات العهر والاختلال العقلي واللعنة والتجديف(١٦).

٣|٢|٢ – الشاب ويسوع

نجد في مر ١٤: ٥١–٥٢ بعض العناصر المشتركة التي تجعل من الشاب

---

(١٤) رج إش ٢٠: ٢، ٣، ٤؛ ٥٨: ٧؛ حز ١٦: ٧، ٢٢، ٣٩؛ ١٨: ٧؛ ٢٣: ٢٩؛ هو ٢: ٥؛ مي ١: ٨.

(١٥) Cf. B.V. SEEVERS, «ערום» in: *New International Dictionary of Old Testament Theology and Exegesis* III, 532-533.

(١٦) Cf. E. HAULOTTE, *Symbolique du vêtement selon la Bible* (Théologie 65), Paris 1966, 72-90; *NRT* 109 (1987) 554-573.

تجسيدًا مسبقًا للمصير الذي سيتورّط فيه يسوع غداة اعتقاله في الجتسمانية. من بين هذه العناصر نذكر:

أ – يَجمعُ الفعل συνακολουθέω، "تَبِعَ عن قرب"، خبرةَ الشاب وخبرة يسوع في رباط وثيق؛ فبينما يترك الكلُّ يسوعَ (مر ١٤: ٥٠)، يبقى الشاب قربه، وكأنّه يوحي للقارئ أن مصير الواحد أصبح حتميًا متعلّقًا بمصير الآخَر.

ب – الفعل الثاني الذي يوحّد مصير الشاب ومصير يسوع هو κρατέω، "أمسك"، "ألقى القبض"، "اعتقل". لهذا الفعل دورٌ أساسي في مر ١٤، حيث يُستعمل للإشارة إلى اعتقال يسوع (آ ١، ٤٤، ٤٦، ٤٩)، ومرّة واحدة يطبَّق على شخص يتبع يسوع (آ ٥١)، مع الفرق أنّه في حين أنّ الشاب لاذ بالفرار رافضًا أن يشارك يسوع مصيره حتى النهاية، استسلم يسوع للخاتمة المخزية أي الموت مصلوبًا بعد أن أُلقي القبض عليه وسُلِّم إلى السلطات الدينية.

ج – لفظة σινδών ، "الإزار"، هي أيضًا توطّد العلاقة بين الشاب ويسوع. ترد هذه اللفظة فقط أربع مرّات في الإنجيل الثاني: مرّتان في رواية الشاب الذي هرب عريانًا (مر ١٤: ٥١، ٥٢) ومرّتان في رواية دفن يسوع (١٥: ٤٦). فبينما يدلّ ترك الإزار (مر ١٤: ٥٢) من قِبَل الشاب على نهاية اقتفاء خطى يسوع والإقلاع عن المسير بأمانة وراءه، تبقى عمليّة لفّ جسد يسوع بالكتّان آخر عمل رَضِي يسوع أن يتقاسمه مع أيّ إنسان تنتهي حياته بالموت والدفن. مشهدان متناقضان: من ناحية عدم الأمانة، ومن ناحية أخرى الأمانة التي تصل إلى آخر رمق من الحياة.

ستبلغ الموازاة بين الشاب ويسوع أوجها عندما سيترك يسوع الكتّان ويهرب من قبضة الموت بعد ثلاثة أيام.

د – بالإضافة إلى المفردات المشتركة بين الشاب ويسوع، نذكر استعمال كلمة "الشاب"، νεανίσκος ، في ١٤: ٥١ و١٦: ٥، مع الفرق أننّا نجد في

النصّين المذكورَين موازاة متناقضة (parallélisme antithétique)؛ فالشاب الذي لم يجرؤ على المضيّ حتى النهاية مع يسوع، فضّل الهرب عريانًا (١٤: ٥٢)، في حين أنّ الشاب الذي تراءى للنسوة كان جالسًا داخل القبر، مؤكّدًا في وضعه وارتدائه وكلامه قوّةَ البشرى السّارة التي تتضمّنها القيامة (١٦: ٥-٧).

هـ - أخيرًا، إذا كان العري في ١٤: ٥١-٥٢ هو نتيجة الرغبة في هرب الشاب، وبالتالي في ابتعاده عن الأمانة للمعلّم، ففي ١٥: ٢٤، يبقى نزع ثياب يسوع وعريه علامة لخضوعه التام لمشيئة الآب، مع تجرّده من ذاته باتّخاذه صورة العبد (فل ٢: ٦-٨).

إنّ العناصر الأدبيّة التي ذكرناها أعلاه تدعونا للتأكّد من أنّ ١٤: ٥١-٥٢ لم يوضع في بداية السرّ الفصحي للتشديد على عدم أمانة التلاميذ أو هربهم، بقدر ما يهدف إلى إبراز أمانة المعلّم للرسالة التي اؤتمن عليها، أمانة ستبلغ أقصاها في التعرّي على الصليب.

بهذا يستبق عريُ الشاب عريَ يسوع على صليب الهزء والسخرية والعار (١٥: ٢٥-٣٧)؛ إنّه العري الضروري بقدر ما يمثّل العبور الذي لا بدّ منه، إنّه طريق الآلام والموت، الاتّجاه الإلزامي الذي على يسوع أن يسلكه، هذا الطريق المذكور في الكتب[١٧]، والمعبّر عنه بوضوح في مشيئة الآب (١٤:٣٦). لهذا الطريق، لهذه الكأس، لهذه الساعة، خضع يسوع حرًّا وبملء إرادته (١٤: ٤٦).

٣/٣ - مقتضيات اتّباع المسيح

يعكس هرب الشاب، آن توقيف يسوع، تصرّف الاثني عشر الذين تركوا يسوع في أحرج أوقات رسالته (مر ١٤: ٥٠). يسلّط المشهدُ الأضواءَ على

(١٧) رج مر ٩: ١٢؛ ١٢: ١٠-١١؛ ١٤: ٢٧، ٤٩.

التباين الواضح بين بدء اتّباع يسوع، إذ يبدو التلاميذ مستعدّين لترك كلّ شيء في سبيل المعلّم (١٠: ٢٨)، ووقت إلقاء القبض عليه حيث تركوه وأديروا هاربين. بدوره ترك الشاب كلّ شيء ليولّي بعيدًا عن يسوع.

ويبقى السؤال المطروح: مَن هو الشخص المعنيّ؟ لماذا يعرضه الإنجيلي على القارئ؟ ما هي العلاقة بين المشهد المتعلّق به وسرّ دخول يسوع في آلامه؟ ما معنى العري في هذا الإطار؟ هل هناك أيّة صلة بين المشهد الوارد في ١٤: ٥١-٥٢ ومشهد ١٦: ١-٨، حيث إن شابًا آخَر يدخل على خشبة المسرح، مع الفارق أنّه يبدو متسربلاً بحلّة بيضاء؟

٣|٣|١ - الشاب والتلاميذ

بين ١٤: ٥١-٥٢ وموضوع التلمذة توجد صلة متينة قائمة على المفردات الأدبيّة المشترَكة.

أ - يبدو دخول الشاب على مسرح الرواية دخولاً مميَّزًا، إذ يتبع يسوع "عن قرب"، والدليل على ذلك هو استعمال الفعل συνακολουθέω مع الإضافة αὐτῷ ؛ فمن ناحية، يذكّرنا هذا الفعل باتّباع الاثني عشر ليسوع بشكلٍ عام ακολουθέω[١٨]، ولكن من ناحية أخرى، يتميّز عن الموقف العام إذ يدلّ على اتّباع المعلّم عن كثب، هذا القرب تفترضه الأداة السابقة (σύν-). في العهد الجديد يُستعمل الفعل συνακολουθέω ثلاث مرّات لا غير[١٩]، وفي هذه الفقرات الثلاث يُشدَّد على الامتياز الذي يحظى به الأشخاص بالاقتراب من يسوع نسبةً إلى غيرهم من الذين يرافقونه.

---

(١٨) رج مت ٤: ٢٠، ٢٢؛ ٨: ٢٣؛ ٩: ٩؛ ١٦: ٢٤؛ ١٩: ٢٧، ٢٨؛ ٢٦: ٥٨؛ ٢٧: ٥٥؛ مر ١: ١٨؛ ٢: ١٤؛ ٦: ١؛ ١٠: ٢٨، ٣٢، ٥٢؛ ١٤: ٥٤؛ لو ٥: ١١، ٢٧، ٢٨؛ ١٨: ٢٨؛ يو ١: ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٣؛ ١٣: ٣٦، ٣٧؛ ١٨: ١٥.

(١٩) مر ٥: ٣٧؛ ١٤: ٥١؛ لو ٢٣: ٤٩.

ممّا تقدّم، يمكننا إدراج الشاب في نطاق التلمذة الودّيّة ليسوع.

ب – من ناحية أخرى، إذا كان دخول الشاب على المسرح يتزامن مع آونةٍ في غاية الإحراج بالنسبة إلى المعلّم، أي تلك التي تلي مباشرةً اعتقاله (١٤: ٤٣–٥٠)، فهي تشكّل المثال في الأمانة لكلّ مَن سار على خطى يسوع، غير أنّ خروجه من المسرح (١٤: ٥٢) يُضفي عليه الصورة المعاكسة للتلمذة؛ يكفي الأخذ بعين الاعتبار التباين الواضح بين رواية دعوة التلاميذ الأوّلين في ١: ١٦–٢٠ وهرب الشاب في ١٤ :٥٢؛ فحيث أنّ هؤلاء تركوا كلّ شيء استعدادًا لاقتفاء خطى يسوع (١: ١٨، ٢٠)، ترك الشاب كلّ ما له وما كان يرتديه للهرب بعيدًا عن المعلّم.

ج – تتضح فكرة المقاومة للتلمذة إذا قابلنا المفردات اللغوية المختصّة بتصرّف الشاب وما آلت إليه خبرة التلاميذ في ١٤: ٥٠، إذ "تركوه كلّهم وهربوا"، كذلك الشاب "هرب" (١٤: ٥٢) كما فعل التلاميذ قبله. غير أنّ صورة الشاب تعكس في الوقت عينه الموازاة والتناقض بالنسبة إلى الاثني عشر، مبيّنةً حالة التوتّر الذي تعرّض لها التلاميذ طيلة رسالة يسوع العلنيّة؛ نأخذ على سبيل المثال التناقض في الموقف بين ١٠: ٢٨ و١٤: ٥٠؛ فإذا كان بطرس في وقت سابق قد عرّف بهويّة الاثني عشر، "ها قد تركنا نحن كلّ شيء وتبعناك" (١٠: ٢٨)، فإنّ في ١٤: ٥٠ ما يعطي الصورة العكسية لهم إذ إنّهم كلّهم تركوا يسوع، فحلّ "الهرب" مكان "السير وراء". يجدر التذكير أنّ الفعل φεύγω ، "هرب"، يُستعمل خمس مرّات في إنجيل مرقس[٢٠]، بينها أربع مرّات يبدو فيها الهرب بمثابة قطع العلاقات مع المعلّم[٢١].

---

(٢٠) رج مر ٥: ١٤؛ ١٣: ١٤؛ ١٤: ٥٠، ٥٢؛ ١٦: ٨.

(٢١) الاستثناء الوحيد يعود إلى مر ١٣: ١٤، حيث يتعلّق الهرب بالأزمنة النهيوية.

ما يعنينا مباشرة هو النصوص التي تدور في إطار اعتقال يسوع وقيامته؛ وبالفعل، يوجد تذكير واضح بين ١٤: ٥٠، ٥٢ و١٦: ٨؛ فالنساء اللواتي أتين القبر، بعد أن انقضى السبت، يشكّلن التمثيل الوحيد الإيجابي لاتّباع يسوع، تمامًا كما هي حال الشاب في ١٤: ٥١؛ ولكن ما كاد موقف هؤلاء النسوة يُحيي الأمل في نفس القارئ لقاء حضورهنّ خاتمة آلام وموت ودفن المعلّم، حتى يُصاب بخيبة أمل مبرّحة نتيجة هربهنّ من القبر (١٦: ٨) بعد أن اعتراهن الخوف الذي تُرجم بالصمت المدوّي.

د – يتّخذ الدور الذي يقوم به بطرس في ١٤: ٥٤ طابَعًا مهمًا من حيث الموازاة لتصرّف الشاب من جهة، والتباين لتصرّف التلاميذ الآخَرين من جهة ثانية، إذ يبدو وكأنّه في محاولة "اتّباع يسوع عن بُعد"، رغم أنّ هذه المحاولة تَعِدُ القارئ بالخير، لكنّها ما تلبث بدورها أن تخيّبه من جديد. فما كادت بادرة الأمل باتّباع يسوع من قِبَل بطرس تُثار (١٤: ٥٣–٦٥) حتى باءت بالفشل سريعًا من خلال نكرانه له ثلاث مرّات متتالية (١٤: ٦٦–٧٢). وبالتالي، فإن مشهد الشاب الذي لم يرافق يسوع حتى النهاية قد يشير إلى تسبيق "سقوط" بطرس الذي طالما ظهر في الإنجيل الثاني وكأنّه المتكلّم باسم جماعة الاثني عشر.

هذه النقاط الأدبيّة الأربع تؤكّد لنا أنّ ١٤: ٥١–٥٢ يقع على ملتقى التلمذة ليسوع والإخفاق الذي ستواجهه جماعة الاثني عشر: صورة حيّة تهدف إلى تسليط الأضواء على شاب يتخلّى عن إزاره، فيتركه بين أيدي الذين يحاولون القبض عليه ويفرّ عريانًا. فما هي ضرورة العري بالنسبة إلى التلاميذ؟

٣|٣|٢ – العري بالنسبة إلى التلميذ

يتضمّن مفهوم العري المرتبط بالسير وراء يسوع معنيَين: الأول إيجابي والثاني سلبي. في الحالة الأولى يُفهم العري وكأنّه جهوزية التجرّد عن الذات في

سبيل الانخراط في طريق التلمذة الحقّة، أمّا في الحالة الثانية فيحمل معنى أكثر سلبيّة بقدر ما يذكّر بخبرة الإخفاق وعدم الفهم.

٣|٣|٢|١ - المعنى الإيجابي

يُعطي إنجيل مرقس أهميّة خاصة لموضوع "الاكتساء" في روايته للسرّ الفصحي، والمفردات التي يستعين بها تتراوح ما بين σινδών، "إزار"، "عباءة"[٢٢]، و πορφύρα، "أرجوان" (١٥: ١٧، ٢٠)، و ἱμάτιον، "رداء"، "ثوب" (١٥: ٢٠، ٢٤). أمّا خارج رواية الآلام والموت والقيامة فيستعمل مرقس كلمة ἱμάτιον في عشر آيات، خمس منها تُطبّق على التلاميذ أو على أناس لهم علاقة ما بيسوع[٢٣]، وخمس منها تعود إلى يسوع عينه[٢٤]. في ما يخصّ الآيات المتعلّقة بالتلاميذ، ينوّه مرقس بضرورة التخلّي عن الرداء وتركه. طبعًا، ليست هذه الصورة بعابرة، لكنّ الإنجيليّ يتعمّد إبلاغ فكرة لاهوتيّة ستعود وتسطع بقوّة في مقطع الشاب الهارب الذي لن يتردّد قط عن ترك كسائه الثمين ليثِبَ عريانًا.

مر ١٠: ٤٦-٥٢

المشهد الأكثر إيحاء يتعلّق بابن طيماوس (برطيماوس)، أعمى أريحا؛ فرغم أنّ الإنجيليين الإزائيين الثلاثة يُروون حادثة شفائه من قبل يسوع[٢٥]، تتميّز رواية مرقس بالتفصيل المختصّ بالرداء: ما إن دعا يسوع الأعمى حتى "ألقى عنه رداءه ووثب وجاء إلى يسوع" (١٠: ٥٠). هذا وإنّ رداء الفقير هو كساء ذو أهميّة

(٢٢) رج مر ١٤: ٥١، ٥٢؛ ١٥: ٤٦، ٤٧.
(٢٣) رج مر ٢: ٢١؛ ١٠: ٥٠؛ ١١: ٧، ٨؛ ١٣: ١٦.
(٢٤) رج مر ٥: ٢٧، ٢٨، ٣٠؛ ٦: ٥٦؛ ٩: ٣.
(٢٥) رج مت ٢٠: ٢٩-٣٤؛ مر ١٠: ٤٦-٥٢؛ لو ١٨: ٣٥-٤٣.

خاصة كونه "ستره الوحيد وكساء جلده" (خر ٢٢: ٢٦)؛ يجب إذًا عدم الاستخفاف بهذا التفصيل المرقسي. والشريعة نفسها لم تكن تتغاضى عن حق الفقير بالكساء، هذا الحق الذي لم يكن ممكنًا خرقه على الإطلاق(٢٦).

في رواية شفاء أعمى أريحا، ألقى هذا الأخير رداءه وشرع في اتّباع يسوع (مر ١٠: ٥٢). بهذا غدا برطيماوس نموذجًا يَحتذي به كلُّ مَن يرغب في اتّباع يسوع.

مر ١١: ٦-٨

في إطار دخول يسوع المسيحاني إلى أورشليم نجد تصرّفًا مماثلاً للتلميذَين اللذين نزعا رداءيهما عنهما ووضعاهما على الجحش الذي سيركبه يسوع (١١: ٧): "وبسط كثيرٌ من الناس أرديتهم على الطريق" (١١: ٨). هذه البادرة التي قام بها الحشد حول يسوع تستحقّ الاهتمام إذا فهمناها على الخلفيّة اللاهوتيّة للصورة المعطاة للملك المسيحاني الذي يدشّن ملكه، إذ من بين الواجبات المسنَدة إلى الملك أن يمارس ملكيّته بعدل، فيدافع عن شعبه ضدّ الأعداء ويُلبسه المجد. وبهذا الإطار، عندما رثى داود موت شاول، كان يقول: "يا بنات إسرائيل، إبكين على شاول، كان يكسوكنّ القرمز زينة، وبحليّ الذهب يزيد ثيابكنّ بهاء" (٢ صم ١: ٢٤). هذه التعابير لا تذكّر فقط بحال الغنى التي أوصلها شاول إلى البلاد، بل أيضًا بالاهتمام الدقيق للملك بأنّه أمّن الكساء لأتباعه، وبمعنى آخَر أمّن لهم الهوية بمعناها العميق.

مر ١٣: ١٦

في "الأيام الأخيرة" الكل مدعو إلى ألاّ يرتدّ إلى الوراء ليأخذ رداءه؛ "فمن كان

---

(٢٦) رج خر ٢٢: ٢٥-٢٦؛ تث ٢٤: ١٠-١٣، ١٧.

على السطح فلا ينزل ولا يدخل بيته ليأخذ منه شيئًا، ومَن كان في الحقل، فلا يرتدّ إلى الوراء ليأخذ رداءه" (١٣ : ١٥-١٦). يجب التخلّي عن كلّ ما يدلّ على الملجأ أو الغنى (المنزل أو الرداء)؛ فاللقاء مع الله في الأيام الأخيرة سيجري بين الرب والإنسان العريان والفقير.

لهذه المقاطع التي أوردناها تأثير مباشر على فهم المشهد الذي يجري في مر ١٤ : ٥١-٥٢؛ فالبشرى الحسنة التي أطلقها يسوع تفترض التخلّي التام عن كل ما هو قديم بغية الاستسلام بين يدي يسوع بحالة العري وإعطائه الفرصة لإضفاء الحلّة التي يريدها على مَن يتبعه. كلّ تلميذ يودّ أن يسلّم ذاته لمتطلّبات الدعوة حتى النهاية، عليه أن يلزم نفسه بالعري التام.

٣|٣|٢|٢ - المعنى السلبي

تك ٣

غالبًا ما يأخذ العري معنًى سلبيًا في الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد، إذ إنّ خسارة الثياب تتعلّق مباشرة بخسارة الهويّة. يبدو تك ٣ النص الأكثر تعبيرًا من حيث استعارة صورة العري للتعبير عن التشقّق الداخلي: "فانفتحت أعينهما فعرفَا أنّهما عريانان" (تك ٣: ٧). إنّ هذا الإدراك بعينه هو الذي يُنشئ مسافة بين الله والإنسان؛ فهذا الأخير لم يعد باستطاعته أن يخاطب الله "وجهًا لوجه"، ولكن عليه أن يختبئ، مُظهِرًا الجرح الذي أصاب علاقته بالله: "إنّي سمعتُ وقع خطاك في الجنّة فخفت لأنّي عريان فاختبأت" (تك ٣: ١٠). لقد تركت لحظة انفصال الإنسان الأول عن الله أثرها النهائي في حياته، لكنّ الله سيتوجّه من جديد نحو الإنسان ليصنع له أقمصة من جلد ويُلبسه، وبهذا سيصون له، بطريقة ما، كرامته التي خسرها بسبب الخطيئة. سينجلي سبب تصرّف الله على خلفيّة العقلية السائدة في العهد القديم، بحيث إنّ الثياب تشكّل حماية ليس فقط ضدّ تقلّبات الجو، بل أيضًا ضدّ كلّ ما يمكنه أن يُلحق الأذى بالكرامة الإنسانية (تك ٢٨: ٢٠-٢٢؛ تث ١٠: ١٨).

تك ٣٧

في تك ٣٧ تظهر أيضًا الصلة الوثيقة بين هويّة الفرد وفقدان الثوب، فالقميص الموشّى يعبّر عن المحبة الخاصة التي يكنّها يعقوب لابنه يوسف الذي ولدته له راحيل. هذا الابن كان موضوع غيرة من قبل إخوته؛ وعندما أراد هؤلاء النيل من حياة أخيهم الشاب، شرعوا أوّلاً بنزع قميصه عنه، آنئذٍ أصبح بإمكانهم أن يطرحوه في البئر ليبيعوه كعبدٍ، إذ إنّ هويّته قد نزعت عنه.

حز ١٦

بين النصوص النبويّة، ربّما يبقى تاريخ أورشليم الرمزي في حز ١٦ الأكثر بلاغة، إذ لم يتسنَّ لإسرائيل أن تتبلور هويتها إلاّ لدى مرور الرب بقربها، وبسط ذيل ردائه عليها وستر عورتها، وقَسَمِه لها ودخوله معها في عهد (حز ١٦: ٨)؛ فلولا عمل الله هذا لبقيَتْ "مطروحة على وجه الحقل قرفًا منها يوم ولادتها" (آ ٥). يلي مرور الرب بقرب إسرائيل رتبة إلباسها الوشيَ وإنعالها بجلدٍ ناعم وتحزيمها بالكتّان الناعم وإكسائها بالحرير (آ ٩-١٣)، إلخ. بالمقابل، فإنّ فسخ العهد وابتعاد الرب سيشار إليهما بصورة نزع الثياب وترك أورشليم بحالة العري المخزية أمام أعين محبّيها الذين سيخدعونها ويُلحِقون بها أشنع أنواع العار والفضيحة (آ ٣٥-٤١).

رؤ ٣: ١٧؛ ١٦: ١٥

في العهد الجديد، تُظهر رؤ ٣: ١٧ رداءة حالة كنيسة اللاذقية، ممّا يحمل الشاهد الأمين الصادق على أن يشير عليها بأن تقتني منه الثياب البيض لتلبسها، رمز هويّتها المسيحية الحقيقية.

أمّا رؤ ١٦: ١٥ فتوجّه الدعوة إلى الإنسان "ليسهر ويحفظ ثيابه لئلاّ يسير عريانًا فتُرى عورته"، ممّا يتضمّن الكفر والموت الحتمي.

جميع الصور التي عُرضت أعلاه تُثبت ما ورد في مر ١٤: ٥٢ أنّ العري هو حالة تشقّق الذات وضياع الهويّة وتجريد داخلي، وأخيرًا هو إذلال وزوال الحظوة(٢٧).

خاتمة

لقد غدت العلاقة المتينة التي تربط مر ١٤: ٥١-٥٢ بـ مر ١٦: ١-٨ واضحة جدًا. في كلا النصين تشكّل شخصية الشاب دليلاً يقود إلى إدراك إمّا خبرة اتّباع التلاميذ ليسوع، إمّا إلى السرّ الفصحي الذي حقّقه المعلّم حتى النهاية.

فمن جهة التلاميذ، سيكون لهم نص مر ١٤: ٥١-٥٢ بمثابة خبرة حرجة لأنّها ستحملهم على أن يكونوا مثل معلّمهم، إذ عليهم من الآن فصاعدًا أن يضعوا جهوزيّتهم للاقتداء بيسوع على محكّ الاختبار، لأنّهم سيضطرّون إلى التعرّي عن كلّ أنواع السلامة والطمأنينة(٢٨). أمّا من جهة يسوع، فلم يَعُد من أيّ شكّ أنّ مر ١٤: ٥١-٥٢ هو بمثابة تسبيق لآلامه وموته من خلال ما يشير إليه العري التام.

---

(٢٧) رج أع ١٩: ١٣-١٧؛ رؤ ١٧: ١٦.

(٢٨) إتّباع يسوع يعني المخاطرة بالنفس والتعرّض لكل ما تفترضه الرسالة؛ من هنا يمكننا أن نفهم كيف أنّ السلطات الدينية سعت، ليس فقط إلى اعتقال يسوع، بل أيضًا كل من بقي بالقرب منه (مر ١٤: ٥١-٥٢). في رواية السرّ الفصحي بحسب الإنجيلي مرقس، رافق مشهد المخاطرة بالنفس عدّة أشخاص بسبب تقرّبهم من يسوع: فبطرس تبع يسوع "عن بُعد" (١٤: ٥٤) ولكنّه لم يتمكّن من المثابرة حتى النهاية، بحيث غدا مرهقًا من جريان الأحداث في ساحة دار عظيم الكهنة؛ وما إن انكشفت هويته كتلميذ ليسوع حتى انتفض متنكّرًا له ثلاث مرّات على التوالي (١٤: ٦٦-٧٢). والنساء اللواتي رافقن يسوع حتى الجلجلة، وقفن ينظرن "عن بُعد" (١٥: ٤٠) ولم يقتربن ليطيّبنه إلاّ بعد إنقضاء السبت (١٦: ١-٢). أمّا يوسف الرامي فلم يطلب جثمان يسوع إلاّ بعد أن خاطر بنفسه وجازف بالدخول إلى بيلاطس. إذًا، يبقى مصير كلّ مَن يتبع يسوع في سرّه الفصحي مرتبطًا تمامًا بمصير المعلّم.

لا يشكّل العري ونزع الثياب الغاية بحدّ ذاتها، لا بل بعكس ذلك، إذا أُخذَا بعين الاعتبار دون مراعاة أمور أخرى، فإنّهما يستوجبان اللوم وربما العقاب، أمّا إذا أُخذَا في سبيل اعتبارات أخرى، فيصبحان ضروريَين. فالعري يغدو الشرط الضروري للرسل، بحيث يعرض لهم إخلاء المسيح الكامل لذاته على الصليب، فيضعهم تجاهه مع إدراكهم الكلّي لحدودهم وللالتباسات الناتجة عن اتّباعه وعن التباين الحاصل بين عطيّة المعلّم وجوابهم له. إنّها مرحلة ضروريّة للتلاميذ لاكتساء كرامة أبناء الله من جديد. أمّا في ما يخصّ يسوع، فالعري ضروري في سبيل تتميم مشيئة الآب وتدشين ملكوته في العالم. سيظهر الملكوت في أوج اقتداره تمامًا ساعة يأخذ يسوع على عاتقه كلّ شرّ الخطأة ومنطق الموت الناتج عنه ليحوّل هؤلاء إلى مساكن الله.

أن يُختَتم إنجيل مرقس بترك شخصية الشاب منفردًا على المسرح، وهو جالس عن اليمين وملتفّ بالحلّة البيضاء يبقى أمرًا في غاية الأهميّة، وبنوع خاص عندما يوضع هذا المشهد داخل القسم المكرّس للسرّ الفصحي (مر ١٤: ١٥–١٦: ٨)[٢٩]. على ضوء "الشاب" الأيقونة ستتّضح هويّة الذين يرتدون الحلّة البيضاء في سفر الرؤيا (٧: ١٤)، إذ إنّهم "الآتون من الشدّة الكبرى وقد غسلوا حللهم وبيّضوها بدم الحمل".

تقدّم خاتمة إنجيل مرقس (١٦: ١–٨) إمكانيتين مفتوحتين لاختيار القارئ في سيره وراء يسوع:

أولاً، إمكانية خنق قوة الإنجيل بالخوف والهرب والصمت، كما كان موقف النسوة الذي يعكس بدوره هرب الجميع في ١٤: ٥٠، وهرب الشاب في ١٤: ٥٢، وإنكار بطرس ليسوع في ١٤: ٦٦–٧٢.

---

(٢٩) تشكّل قيامة يسوع في مر ١٦: ١–٨ حافزًا يهدف إلى جذب التلاميذ، الواحد تلو الآخر، انطلاقًا من فكرة استعادة الكرامة بملئها، وسعيًا إلى اقتفاء خطى يسوع على أسس آفاق مستقبلية جديدة.

ثانيًا، إمكانيّة تقلّد قدرة السرّ الفصحي الخلاصيّة حتى النهاية، من خلال تخطّي عار الصليب والانخراط في ديناميّة القيامة كالشاب في ١٦: ٥–٧.

من السهل جدًا ملاحظة وجود "الشاب" في طرفي خبرة المرور في الآلام والموت والقيامة والتي يحتّمها السير وراء يسوع. لذا فعلى كل مسيحي أن يختار بين موقفي الشاب، أي إيصال مسيرته الإيمانية فقط إلى أفق مر ١٤: ٥١–٥٢ أو بتخطّيها إلى مستوى أفق ١٦: ٥–٧.

المراجع

AMBROISE DE MILAN, *In Psalmum XXXVI enarratio* (PL 14).

BÈDE LE VÉNÉRABLE, *In Marci Evangelium Expositio* (PL 92).

CRANFIELD C.E.B., *The Gospel according to Saint Mark* (CGTC), Cambridge 1959.

EBRETTA M., *Gli Apocrifi del Nuovo Testamento*, vol. II, Casale Monferrato 1966.

EUSÈBE DE CÉSARÉE, *Historia ecclesiastica* (PG 20).

EUTHYME, *Commentarius in quatuor evangelia* (PG 129).

GRÉGOIRE LE GRAND, *Moralium Libri sive Expositio in librum B. Job* (PL 75).

HANHART K., *The Open Tomb. A New Approach, Mark's Passover Haggadah* (c. 72 C.E.), Collegeville 1994.

HARE M.J., «The Naked Young Man: A Historian's Hypothesis on Mark 14,51-52», *Bib* 79 (1998) 525-531.

HAULOTTE E., *Symbolique du vêtement selon la Bible* (Théologie 65), Paris 1966.

JEAN CHRYSOSTOME, *Commentarium in Joannem* (PG 59).

KEENAN J.P., *The Gospel of Mark. A Mahayana Reading* (Faith meets faith), New York 1995.

LOISY A., *Les évangiles synoptiques*, vol. II, Ceffonds 1908.

___, *L'évangile selon Marc*, Paris 1912.

MEYER M.W., «The Youth in the Secret Gospel of Mark», *Semeia* 49 (1990) 129-153.

NEIRYNCK F., «La fuite du jeune homme en Mc 14,51-52», *ETL* 55 (1979) 43-66.

OLSHAUSEN H., *Die Leidensgeschichte des Herrn nach den vier Evangelien*, Könisberg ⁴1862.

PEREGO G., *La nudità necessaria, il ruolo del giovane di Mc 14,51-52 nel racconto marciano della passione-morte-risurrezione di Gesù*, Milano 2000.

SCHENK W., *Der Passionsbericht nach Markus. Untersuchungen zur Überlieferungsgeschichte der Passionstraditionen*, Berlin 1974.

SCROGGS R. - GROFF K.I., «Baptism in Mark. Dying and Rising With Christ», *JBL* 92 (1973) 531-548.

SEEVERS B.V., «ערום» in: *New International Dictionary of Old Testament Theology and Exegesis*, III, 532-533.

STANDAERT B., *L'évangile selon Marc. Composition et genre littéraire* (Diss. Nijmegen), Brugge 1978.

TAYLOR V., *The Gospel According to St. Mark*, London 1952.

THÉOPHYLACTE, *Enarratio in evangelium S. Marci* (PG 123).

VOGELS W., «Cham découvre les limites de son père Noé (Gn 9,20-27)», *NRT* 109 (1987) 554-573.